النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ٦ كانون الاول (و٢٣ت٢) سنة ١٩٠٨

لحظة السعادة

« لندن في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٤

ايها الصديق الحميم

بملء الاسف انبئك بسوء المنقلب وخسارة الدعوى . فان وكيلي لدى المحكمة اخبرني بان خصمي رو بنصن قد حُكم لهُ وانقضى الامر فلم يبقَ لي الآ ان ارافعهُ الى المجلس الاعلى . غير ان ذلك كما لا يخفى يتقاضى مالاً وافراً وانت أعلم بما صارت اليه حالتي بسبب هذا اللئيم رو بنصن الذي ما فتىء ينصب لي حبائله حتى فاز سهمهُ ونفذت

في مقاصده الشريرة نخسرت معملي ولم يبقَ لي ما يقوم باودي . اما الحكومة فلم ينكشف لها تزوير هذا الوغد واختلاسه . وعليهِ فقد عوَّلت عَلَى الرضوخ لاحكام الدهر وانا مشرَّد الفكر تائه اللب . ولو ان هذه المصيبة وقعت عليَّ وحدي لاحتملتها بالصبر الجميل غير انها ابت الاَّ ان تتناول ايضاً شخصاً آخر هو عندي أعزُّ من روحي واعني به شقيقتك العزيزة سوسنة التي ما فتئتُ من يوم عقد خطبتنا وانا اجهز لوازم العرس وأُمني نفسي بالسعادة والهناء . غير ان للدهر في تصاريفه غرائب ... ولما رايت نفسي على وشك البوار ولم يبقَ في يديَّ ما يكفي للقيام بما يلزمني ويلزم خطيبتي عقدتُ النية عَلَى الرحيل الى بلاد استراليا لعلي اجد فيها شغلاً يكفل لي حياة سعيدة ولي نسيب هناك ربما يرشدني بخبرتهِ ودرايته الى أقوم سُبُل التجارة وانجحها وصديقي المذكور ربَّان مركب شراعي أقلع منذ اسبوع من مياه انكلترا قاصداً استراليا وفي طريقه يقف في موانٍ عديدة و بعد اسبوع من هذا التاريخ يكون في ميناء (بورت سيباستيانو) في اسبانيا . فان خرجتُ من لندن بعد الغد سأجده ولا ريب في الميناء المذكور . وبما اني مصرٌّ عَلَى السفر كل الاصرار أَلتمس منك ايها الصديق الوفي ان تقنع شقيقتك الحبيبة بوجوبه وتمهد لها صعوبة الفراق باساليبك اللطيفة . هذا واني أُحرّرها من كل ارتباط بي فلها مطلق الحرّية وملء التصرُّف في اختيار من تهوى بعدي عريساً لها . واما انا فسأبقى الى آخر دقيقة من

حياتي قائماً عَلَى اشرف عهود المودّة الصادقة لان حياتي هي رهنٌ لسوسنة دون سواها . وفي مساء الغد ساجتمع ان شاء الله بكما واتزوَّد منكما نظرةً لعلها الاخيرة في هذه الحياة

صديقك شارل »

ثم غلَّف شارل هذه الرسالة وعنونها هكذا : « لحضرة المستر هربرت في ادارة جريدة رائد المساء » ووضعها في اقرب صندوق للبريد ومضى لشانهِ

وبعد ذلك بيومين كان في احدى محطات القطار الحديدي في لندن ثلاثة اشخاص واقفين يتجاذبون اطراف الحديث وعَلَى وجوههم امائر الكآبة والحزن . ولابد ان يكون القارىء قد عرف ان هؤلاء الاشخاص هم شارل وصديقه هربرت وخطيبته سوسنة وكان هربرت هذا محرراً في جريدة رائد المساء . واما سوسنة شقيقتهُ فكانت فتاة بارعة الجمال ذات قوام يزري بغصن البان ولها من العمر واحد وعشرون عاماً . وكانت تحب شارل محبة صادقة وقد احلتهُ من فؤادها محلاً رفيعاً . ولذلك اشتد عليها جداً امر فراقه ولم تشاء ان تُحلّ فيما بينهما روابط الولاء بل وعدته بان تبقى ثابتةً على عهده منتظرة عودته وان طالت

ولما ازف اوان رحيل القطار تقدم شارل من عروسه وشقيقها فودّعهما وهو لا يملك نفسه من البكاء . ثم ركب القطار وسافر عَلَى

بركات الله مخلفاً لصديقه وحبيبتهِ الوحشة الشديدة وكان اشدّهما وحشة سوسنة فانها عادت الى منزلها محنية الراس دامعة الطرف كاسفة البال

...

كانت جريدة رائد المساء في ذلك الحين من الجرائد الصغيرة والقليلة الاهمية في بلاد الانكليز · ولم يكن لها من المشتركين سوى النزر اليسير بالنسبة الى غيرها من الجرائد اليومية · وكان يديرها آنئذ رجلٌ في الخامسة والثلاثين من عمره تلوح على وجهه علامات النشاط والهمة يُدعى المستر جورج · وهو من يوم انشائها ما فتىء يدأب مجتهداً لرفع شانها وتوسيع انتشارها والحاقها بغيرها من جرائد لندن المهمة · فانتخب لها نفراً من المحررين والمكاتبين وكبر حجمها وادخل فيها تحسينات كثيرة · غير انها لم ترتقِ الخطوة التي كان ينتظرها صاحبها · ولكنهُ لم يقنط بل ظلّ دائباً ساعياً في سبيل ادراك غايته · وفي احد الايام استدعى جميع مستخدمي جريدتهِ وخاطبهم قائلاً " لا يخفى عليكم ايها الاصحاب مقدار المساعي والاتعاب التي بذلتها ولا ازال ابذلها في سبيل ترقية شأن جريدتنا وترويجها · بيدَ اني لم أرها بعدُ في المقام الذي اريده · فارغب اليكم ان تكونوا لي اعواناً مخلصين في هذا الامر وتفرغوا جهدكم في تبليغ الجريدة شهرةً ونجاحاً يكفلان مقاماً رفيعاً بين الصحف المهمة · وساكافىء الشخص الذي يُظفرني

بمتغاي احسن مكافأة

ولم يكد صاحب الجريدة يفرغ من كلامهِ حتى استأذن هربرت وقال : ارى ان احسن وسيلة لبلوغ المرام هو ان نسبق الى نشر اجدّ الاخبار السياسية والحوادث اليومية و بذلك فقط يتسنى لجريدتنا ان تحرز صيتاً بعيداً وشهرةً فائقة غير ان هذا الامر لا يتيسر الان طبق المرام لان مجلس النواب قد انحل وانقطعت جلساته بداعي عطلة الاعياد ولا يلتئم الاَّ في شهر اذار المقبل . والوزراء كلهم على الغالب متغيبون حتى ان غلادستون نفسهُ قد برح انكلترا من مدة وهاهو الان في مدينة بياريتس في اسبانيا وعليه فلا يتفق لنا النجاح في هذا الوقت ولو جهدنا انفسنا للسبق في نشر الاخبار . فاجابهُ صاحب الجريدة أَصبتَ غيرَ اننا لا نعدم ذلك ان شاء الله بعد عودة المجلس . ومذ الان فلنتحرَّ كل خبر جديد تهم مطالعتهُ وعسانا نبلغ قصدنا

فقال هربرت — ان الشيخ العظيم (اي غلادستون الذي كان زعيماً للاحرار ورئيساً للوزراء) لهو هو قطب السياسة ومحور الاعمال وجميع الجرائد تتوقع كل كلمة يتفوه بها كما يتوقع العطاش بارد الماء . فلو عرفنا شيئاً من آرائهِ ودوَّنا ذلك قبل غيرنا نلنا ولا شك نصيباً عظيماً من الفلاح ولا سيما لانهُ يناضل الان اشدَّ المناضلة ضد حزب المحافظين ولكن هيهات ان نفوز بذلك في هذا الوقت لان الرجل بعيد عن مواقع السياسة ولا يتسنى لاحد الاطلاع على ارائهِ

اما ما كان من امر شارل فانهُ ما لبث ان وصل الى باريز. وبعد ان اقام فيها بضع ساعات استأنف مسيره الى اسبانيا . وبينا كان القطار واقفاً في احدى المحطات وشارل لاهٍ بافكاره واذا برجل دخل الى المركبة التي كان فيها وابتدره قائلاً حُيّيت ايها الصديق فمن اين والى اين ؟ فلما سمع شارل ذلك التفت الى الرجل المتكلم ولم يلبث ان وقع على عنقه يعانقه ويقول — اهذا انت يا صديقي ادوار فما احلى هذا الاتفاق . ثم سلَّم الاثنان بعضهما على بعض واخذا يتحادثان ويتذاكران . وكان ادوار رفيقاً لشارل في المدرسة غير انهما افترقا عن بعضهما مدة عشر سنوات ولم يعلم الواحد عن الآخر شيئاً . اما ادوار فجاء الى مدينة بياريتس حيث استخدم في فندقها الشهير الذي يحتشد اليه كبار الناس من اعلى الطبقات . وكان في هذا النهار قد قصد المحطة المذكورة لابتياع بعض اغراض لازمة للفندق ولم يبطيء ان عاد صحبة القطار فالتقى بصديقه شارل كما قدمنا

ولما علم ادوار ان رفيقه لا يستطيع ان يبقى في بياريتس طويلاً اخذ يلح عليه بالبقاء الى الصباح التالي فقط ليتمكنا من مشاهدة بعضهما . ولما لم يرَ شارل ضرراً في بقائه وعده بالنزول معهُ . وبعد بضع دقائق وصل القطار الى بياريتس فنزل الصديقان وانطلقا الى الفندق المذكور. وكان لادوار فيه غرفة خاصة انزل بها صديقه لياخذ نصيبه من الراحة ووعده ان يأتيه مساءً وينطلق به الى ضواحي البلدة للفرجة وترويح النفس

ولما ازف المساء كان شارل قد ارتدى احسن اثوابه ووقف ينتظر صديقه . وبعد قليل جاء ادوار ولوائح الاهتمام بادية على محياه وهو يقول لم يعد في امكاني مغادرة الفندق في هذا المساء فقد وردنا منذ هنيهة رسالة برقية من (الشيخ العظيم) تفيد انه يريد ان يتناول اليوم طعام العشاء عندنا وبصحبته اثنان من ذويه فينبغي والحالة هذه ان ابقى في الفندق لخدمته وانت تعلم حرج الموقف بازاء هذا الضيف العظيم فخر انكلترا ودولاب اعمالها

وكان شارل يسمع كلام صديقه وهو غارق في التاملات . فلما فرغ ادوار من حديثه اطرق شارل حيناً ثم اشرق جبينه وقال — اني أغبطك يا صديقي لانك تشاهد غلادستون وتسمع حديثه واعد ذلك شرفاً كبيراً ويا ليتني أستطيع ان اخلو به واسمعه . فتبسم ادوار وقال — دونك وما تريد ايها الحبيب غير انه يلزمك لبلوغ القصد ان تساعدني في الخدمة كانك واحد من مستخدمي الفندق وبغير هذه الواسطة لا يتيسر لك سماع حديث الشيخ العظيم . وينبغي لك ايضاً ان تخاطب القوم باللغة الفرنساوية لاعتمادنا اياها في مخاطبة كل غريب ينزل عندنا فقال شارل ووجهه يطفح سروراً — حسن فانا اعرف اللغة الفرنساوية كلغتي الوطنية فخذني الى حيث تريد . فاقتاده ادوار الى بعض الغرف المعدة لاستقبال رجال الطبقة العالية من الناس وعلمه بعض الواجبات التي يلزم اجراؤها في مثل هذه الاحوال

وبعد هنيهة من الزمن ولج الفندق ثلاثة رجال تبدو عليهم سيماء العظمة ورفعة المقام · احدهم غلادستون تلوح على وجهه أمائر النشاط وعلوّ الهمة والاقدام · والثاني السير ويست الذي كان سكرتيرًا في مجلس النواب والثالث احد انسباء الاخير · ولم يلبثوا ان دخلوا القاعة المعدة لهم وجلسوا الى مائدة انيقة فيها وشرعوا في مناولة الطعام وكان شارل في اثناء ذلك يحضر صحاف الطعام من المطبخ ويناولها لادوار وهو واقف في الباب فياخذها هذا ويقدمها للزوار · وعلى هذه الصورة نال شارل اكثر مما كان يؤمّل من مشاهدة غلادستون وسماع حديثه · ولما فرغ الضيوف من الطعام قدَّم لهم ادوار ثلاث زجاجات من الشمبانيا وثلاثة اقداح فارغة وخرج من القاعة واغلق الباب وكان شارل لا يزال واقفاً هناك فقال لهُ ادوار هذه هي عادة الشيخ العظيم فانهُ لا يطلب عقيب الطعام الاَّ الشمبانيا ويجلس بعد ذلك نحو نصف ساعة ثم يستدعيني بقرع الجرس لاقدّم لهُ لائحة الحساب وها انذا ذاهب الان لاتعهد القاعات الأُخر ولا البث ان اعود

وما كاد ادوار ينطلق لشانه حتى سمع شارل قرع الجرس من القاعة التي فيها غلادستون ورفيقاه فبغت ولكنهُ تجلد ودخل القاعة ليعلم ماذا يريدون · وكان السبب في ذلك ان السير ويست لما تناول احدى زجاجات الشمبانيا ليصب في الاقداح سقطت الزجاجة من يده عَلَى المائدة فانكسرت وجرى الشراب · فلما دخل شارل امره

ويست بان ينقل الاقداح والزجاجات الى مائدة اخرى في احدى زوايا القاعة ويمسح المائدة التي امامهم . فسُرَّ شارل في داخله وقبل ان يبادر الى العمل وجَّه خطابهُ الى غلادستون قائلاً باللغة الفرنساوية — هل تأمرون بزجاجة غير هذه ؟ فاجابه السير ويست — كلا ولكن ضع شيئاً من الوقود في المستوقد . وفيما كان شارل آخذ في العمل وقلبهُ يرقص طرباً قال غلادستون لجليسيهِ — سنعاود حديثنا بعد خروج هذا الرجل من هنا . فقال السير ويست — مالنا وله فهو لا يفقه كلامنا لانهُ رجل فرنساوي . ثم خاضوا في الحديث واندفعوا فيهِ اي اندفاع

وكان شارل لا يغفل طرفة عين عن حركات غلادستون فما عتَّم ان رآه قد ضرب بيده على المائدة وقال بحدَّة — سأُتمم هذا بلا بُدّ في الاسبوعين القادمين ولست براجع عن عزمي ولو رفضت الملكة قبول ذلك لاني تعبت من مشاق العمل وصرت في حاجة الى العزلة والراحة

وفي هذه الدقيقة كان شارل واقفاً في الباب وبيده صينية الشراب فلما وعى كلام غلادستون دهش اشد الدهش وارتجفت يداه حتى اصطكَّت الاقداح ببعضها وكادت الصينية تسقط من بين يديهِ لانه تحقق ان الشيخ العظيم سيستعفي بلا ريب من رئاسة الوزارة وهذا الامر سيحدث انقلاباً كبيراً في الدوائر السياسية ليس فقط في جميع مجالس بريطانيا بل وفي اكثر اصقاع العالم . وبالرغم عن تأمله

بهذا خطر في باله صديقه وشقيق عروسهِ هربرت [المحرر في جريدة رائد المساء] ...

ولما خرج شارل من القاعة هرول الى حيث كان صديقه ادوار وابتدره قائلاً — متى يكون موعد سفر القطار الى لندن ؟ فتبسم ادوار وقال — عجباً وكيف ذلك ايها الصديق ؟ فانت مسافر الى استراليا فكيف تهم بالرجوع ؟ ولكن لا عجب فانت خاطب ....

فقال شارل — ارجوك ان تطلعني على دليل سفر القطارات لاني بغاية الاحتياج الى العودة . فاجابهُ — هو على المائدة في قاعة القراءة هناك فاذهب وانظر حاجتك ، فاسرع شارل و بحث عما يهمهُ

(تتمتها في العدد القادم)

التوائم

لقد بحث العلماء والاطباء كثيراً في خاصيات التوائم واحوالهم ومصيرهم فوقفوا بعد التحري والاستقصاء على كثير من شوءونهم الغريبة وامورهم الخارقة التي نروم وصف بعضها فيما يلي

فمن ذلك ان كثيرين من هولاء التوائم كانوا يشبهون بعضهم كل الشبه بحيث كان كل واحد كتوأمهِ بدون فرق البتة حتى لم يكن يفرق الواحد عن الآخر الاَّ الاقارب فقط . وقد اعتاد بعض الوالدين

ان يلبسوا توائمهم منذ الصغر البسة خاصة او يجعلوا في اثوابهم شرائط مختلفة الالوان ليتميز بها الواحد دون الاخر ومع هذا فكان كثيراً ما يتفق عدم معرفة الاولاد وتسمية الواحد باسم توأمه . ومرة كانت والدة تغسل توأميها فريتس وغانس ولما فرغت من ذلك لم تعد تعرف ثياب الاول من ثياب الاخر . وظلت هذه المسئلة غامضة عليها الى ما شاء الله . وكلٌّ من الاخوين لم يكن يعرف حاله اهو فريتس او غانس

وذكر احد المصورين بالمانيا انه دُعي ليصوّر توأمين اسمهما كليرخن وغريتخن وفي اثناء ذلك مرض الولدان فاضطر الى ترك العمل الى ما بعد شفائهما . ولما عاد الى شغله لم يعد يعرف اي الولدين كليرخن وايهما غريتخن

واتفق مراراً عديدة جداً انهُ اذا كان احد التوأمين مذنباً ورام اهله عقابه عاقبوا اخاه . او اذا كان مريضاً داووا الاخر

وقد اتفق لبعض معلمي المدارس نوادر غريبة جداً من هذا النوع ولا سيما اذا كان بين تلامذتهم توائم متشابهو اللباس . فمن ذلك ما رواه احد معلمي الموسيقى عن شقيقتين توأمتين حيرتاه شديداً بتمام مشابهتهما لبعضهما فاذا كانت احداهما تريد ان تتخلص من الدرس كانت تذهب اختها عنها والمعلم لم يكن يقدر ان يكشف سرها

ومعلوم ان الاولاد منذ الحداثة يعرفون والديهم بيد ان سيدة كان لامها اخت توأمة وقد كتبت في هذا الشان ما يأتي:

كانت والدتي شبيهة كل الشبه بخالتي بلون الوجه والهيئة والقد والصوت والحركات حتى انهُ في زمن الحداثة كنتُ على الدوام اعتبر خالتي والدتي و بالعكس · واذا كانت الاثنتان في غرفة واحدة كان يظهر بان لي والدتين

وقال رجل كان له اخ توأم كنتُ واخي على اتم المشابهة والاتفاق في كل شيء بحيث ان اولادنا لم يكونوا يفرقون بيننا حتى وهم في سن الخامسة والسادسة

ونختم كلامنا في هذا الموضوع بنادرة غريبة في بابها وهي ان اخوين توأمين احبا فتاة واحدة · فعرض عليها احدهما امر الزواج ونال رضاها · واحتال الآخر فنال رضاها ايضاً بحيث لم تعد الفتاة تعرف من هو عريسها · · ·

جائزة كاتب

منذ بضع سنين ألَّف احد كتبة الانكليز المدعو جون مورلي كتاباً ذا الفي صفحة في حياة غلادستون العظيم باعهُ لاحد اصحاب المطابع بمبلغ عشرة الاف ليرة انكليزية · وقد جدد صاحب المطبعة طبعهُ مرات عديدة · فطبع من الطبعة الاولى ١٢٥،٠٠٠ نسخة باعها في ستة ايام · هكذا تحيا الامم وهكذا تحيا المعارف



شقاء الملوك

(تابع لما قبل)

وبناء على ذلك فالواجب يضطرني الى ان اخبرك ان سكان تلك الناحية التي تريدون ان تضربوا خيامكم فيها لا يريدون ان يعرفوا جمعيتكم . انتم تريدون ان تخضعوهم لنفوذكم اماهم فيكرهونكم وقد ارسلوا الي نحو اربعين عريضة يلتمسون فيها ان اخلصهم من اعمالكم المباركة وها هي في هذه الحقيبة الجلدية ويمكنك ان تطلع عليها اذا شئت . وازيدك علماً ان الحضارة في الناحية المذكورة على جانب عظيم من النمو والتقدم وليس فيها شبه جهالة او غباوة كما ادَّعيت منذ هنيهة . والاغرب ان الجرائم والجنايات في هذه الناحية نادرة جداً والاهلون هناك على اوفى نصيب من الدعة والطمأنينة والراحة . ولست ارى في كل ذلك ما يخالف ارادة الله . ولذلك فمن واجباتي ان البي ملتمس شعبي ولا امنحكم سؤلكم

قال فاذاً جلالتك لا تريد ان تهبنا هذه الاراضي

قال انا مضطرٌّ الى ذلك لاجل مصلحة رعيتي

قال غير ان بعض هذه الاراضي لاشخاص معلومين وهم

مستعدون ان يبيعونا خاصتهم

قال اذا اراد هؤلاء الاشخاص ان يبيعوا اراضيهم فانا اول من يشتريها لاجل فائدة رعيتي

فظهرت على وجه دِل فورتيس علائم الحزن الشديد وقال لا اعترض جلالتك في شيء وانما اصرّح لك ان فوق سلطتك يوجد سلطة الكنيسة التي يخضع لحكمها المعصوم عن الغلط جميع الملوك والسلاطين

فقطب الملك حاجبيه وقال اعلم يا منسنيور اننا لم نجتمع هنا لاجل المجادلات الدينية فاذهبْ الى رئيسك وانفذ اليه جوابي وهو ان سكان تلك الناحية ما داموا لا يريدون مداخلتكم في شؤونهم فانا لا اهبكم الاراضي المذكورة . اما اذا اتفقوا وطلبوا مساعدتكم فحينئذٍ اسمح لكم بها عن طيبة خاطر

فتبسم دل فورتيس وقال اولسنا نحن اعضاء جمعية يسوع من رعاياك ؟ او لست انت ايضاً ملكاً مسيحياً وكاثوليكياً ؟

قال نعم انا كما تقول . فانا ملك مسيحي لاني اقتدي بالمسيح واتمم وصاياه . وكاثوليكي اي مسكوني لانهُ ينبغي لي ان احب الجميع بقطع النظر عن المذاهب والشيَع . انتم تقولون انكم من رعيتي وانا اقول لكم انكم تضمرون غير ما تقولون لانكم لا تخضعون للسلطة الزمنية كما صرَّحتَ منذ هنيهة . هذا كلامي كلهُ

فانحنى دِل فورتيس الى الارض ثم انتصب ورفع يده وقال اني الان استودع جلالتك الله واسالهُ تعالى ان يلين قلبك على خدام شريعته المقدسة و يسدّد خطواتك في الصراط القويم ٠ وها انا منطلق الان لابلغ اسقف الناحية امرك الملوكي ٠

قال هذا وهمّ بالخروج ففتح السير روجر لهُ الباب وامر الحاجب ان يشيعهُ الى باب القصر ٠ ثم عاد الى الردهة والعرق البارد يتصبب من جبهته كانهُ كان في ميدان نزال واذ رآه الملك على تلك الحالة لم يتمالك ان استلقى على قفاه من شدة الضحك

الفصل الحادي عشر

طبيب البلاط الملوكي

و بعد بضع ساعات انطلق السير روجر الى القسم الغربي من القصر حيث كان ساكناً الاستاذ هنري فون غلاو بن ٠ وهو رجل وقور الهيئة حسن الطلعة كريم الخصال كامل الصفات قد عركتهُ الحوادث وسبكتهُ التجارب حتى قتل الدهر خبراً وعرف الايام بطناً وظهراً ٠ وكان من اخلص اصدقاء الملك واقرب المقرّبين اليه ٠ فكان الملك يحبهُ و يعتبره كثيراً و يصغي الى ارشاداته ونصائحه ٠ وكان هنري من اهل البحث والتنقيب ميالاً الى الفنون متضلعاً من العلوم الطبيعية والطبية مشهوراً عند الجميع بتآليفهِ المفيدة ورغبتهِ في الخير

العام وهو رجل جرماني وُلد وتربى في جرمانيا ولكنهُ ما كاد يشتهر فيها حتى تركها وجاء الى هنا حيث دخل في بطانة الملك وآلى على نفسه ان يكون لهُ صديقاً نصيحاً الى اخر ايامه . وكان هذا الطبيب في ساعات فراغه من العمل يوءلف تصنيفاً جديداً بعنوان (تاريخ الجوع) وكان عَلَى الدوام يقول لجلسائه ان الجوع هو اصل كل تمدن وحضارة ولما كانت الحاجة ام الاختراع فكان الانسان منذ اول امره اذا جاع يبحث عن امور واشياء مختلفة تالفت منها رويداً رويداً الحضارة الحالية . وسأبدأُ في كتابي من حكاية (آدم والتفاحة) لان آدم لم يكن الاَّ جائعاً حينما خدعتهُ حواء بالتفاحة . وهو بعد ان اشبع (انسانه) الداخلي صار يفتكر بالانسان الخارجي اذ انه شرع يهتم بلباسه ثم صارت اهتماماتهُ تتناول غير ذلك من الشوءون كالدين والعادات والاخلاق والآداب وما شا كلها من الاحوال التي يضطر اليها الانسان طبعاً . وعلى هذه الصورة ظل الانسان يرتقي في معارج الحضارة حتى وصل اخيراً الى هـذه السلطة العالمية التي نراه عليها اليوم . ولم يصل هو الى ذلك بقوة عقله ونفسهِ بل بجوعهِ وعريه

وكان هذا الطبيب في الاوآنة التي نسرد حوادثها في الخامسة الستين من عمره بيدَ انهُ كان نشيطاً قوياً كانهُ ابن اربعين وذلك ونهُ كان ذا خلق هادىء يستقبل الاشياء بالسكينة والصبر و ينظر

الى الامور نظراً فلسفياً · وكانت هيئتهُ اقرب الى هيئة جندي منها الى هيئة طبيب · وكان بصورته وجسمه شبيهاً جداً بيسمارك الشهير ولم يكن الفرق بينهما الا ان هنري كان يطوي في صدره كثيراً من الصلاح والخير ويكره الاضرار باحد من الناس ولو كان اشد اعدائه

وكان السير روجر يحبهُ ويقصده في اكثر الاوقات لمباحثته ومكاشفته بما هو فيهِ ولم يكن يجري شيئاً الا بعد مشورتهِ واستئذانه · وكانت تجمع الاثنين صلة محبة الملك والاخلاص للملكة

:::

ولما جاءه السير روجر هذه المرة وجده جالساً في مخدعهِ يدخن وامامهُ عَلَى المائدة زجاجة كبيرة فيها بعض حيوانات صغيرة وقد جلس يتأملها ويراقب حركاتها · فلما رأى السير روجر لم ينهض لاستقباله بل بش في وجهه وقال : تفضل اجلس هنا ايها الصديق ثم ناولهُ لفافة تبغ وقال — اراك على الدوام متعباً مهموماً فتعال افكهك بمراقبة هذه الحشرات الصغيرة فهي لا تضجر ولا تملّ · انظر كيف انها تلحس جوانب الزجاجة لاعتقادها بان هذا هو الانسان عدوها الازرق وقد قامت تنهشهُ فلن ترتاح الاَّ بعد ان تتأكد انها افنتهُ او افنت جزءًا منهُ · وهي بهذه الصورة تشبه الجمهور الغفير من الناس

قال روجر — ولكني ايها الصديق لا اقدر ان اراقب شيئاً لاني مشرّد البال اشعر كانّ شيئاً يمزّق نفسي فأُريد ان افاوضك بطريقة

جدّية في قضية عظيمة الاهمية

قال تكلم كيفما شئت واعلم باني رزين للغاية حتى في اثناء الضحك فلن اضحك الاّ بجدّ ورزانة

قال ما رأيك في ملك يبدي آراءه بكل صراحة ؟

قال رأيي فيه انهُ شجاع ويستحق كل اكرام . وبحضرة مثل هذا الملك يجب رفع القبّعات

قال فاذاً علينا مذ الان ان لا نلبس قبعاتنا

قال وماذا تعني بذلك

قال أعني ان ملكنا الحبيب قد شرع من هذا النهار يظهر للملا ما انطوت عليهِ نفسه الابية . ثم اعاد عَلَى سمعه ما سمعهُ حرفاً حرفاً من حديث الملك مع المنسنيور دل فورتيس

قال لم اتعوّد في زماني ان اندهش او اندهل لشيء الا اذا صدع احد بالحق امام بعض رهبان هذا الزمان اذ ليس لاحد ان يقنعهم بالصدق ولو جاءهم بالآيات البينات

وكان روجر يسمع وامائر الاضطراب بادية عَلَى وجهه وما كاد يفرغ الطبيب من الحديث حتى وثب عن الكرسي فرمى اللفافة من يده عَلَى الارض وتنفس الصعداء

فتبسم هنري وقال ليس ذلك عادة حسنة يا روجر ان ترفع اكتافك الى اذنيك وترمي نصف هذه اللفافة الفاخرة وهي من اجود

التبغ الهافاني ولعلك الان في اشد الانفعالات النفسانيــة · فلِمَ كل ذلك !

قال لا اقدر ان اكون وادعاً مستريحاً اذا رأيت الخطر يتهدد مولانا الحبيب من كل جهة وهو نفسهُ سبب هذا الخطر فقد استودعني اليوم سراً هائلا وامرني ان اكتمه ولا اتكلم به وهو لا يريد ان يطلع عليهِ احد الاَّ انت وانا والملكة بشرط ان لا نتفاوض فيه مطلقاً الا اذا اراد هو وهذا الامر قد ارهب نفسي كثيراً وادخل عليَّ الفرق والخشية

ثم اخرج من جيبه غلافاً عليه الختم الملوكي وناولهُ لهنري فنهض هذا وفض الختم وقرأ الكتاب الذي ضمن الغلاف وروجر يراقب حركات وجهه ليرى فيهِ اثراً للاندهاش او الاضطراب فلم يرَ شيئاً من ذلك · ولما فرغ هنري من تلاوة الكتاب طواه واعاده الى مكانه وهو غير مبدٍ شيئاً من الاستغراب ولم يلبث ان قال — علينا ان نتمم اوامر الملك بكل دقة وارى ان النجاح سيخدم جلالته بالنظر الى هذا المبدأ الشريف الذي سيدهش به كل عظماء الارض

قال — وحياته ؟ افلا تهمنا حياته ؟

قال — ان حياته في يد الله · وثق ايها الصديق بانه سيظفر بحاجته ولن يجري لهُ مكروه ما دامت نواياه صالحة وضميره نقياً فالصلاح يجذب الصلاح والشر يجذب الشر

قال ولكن الملك ...

قال — الملك رجل وقد صرت منذ الان اعتبره فوق كل الملوك ومن واجباتنا المحافظة عليه والمدافعة عنهُ بارواحنا . ثم تناول عن الجدار سيفاً فاخرجه من غمده وقبلهُ وناوله لروجر فقبله هذا ايضاً .

وقال هنري — ولتكن هذه القبلة رمزاً لاخلاصنا للملك واستعدادنا لان نجود بمهجنا في سبيل مرضاته

قال — بورك فيك ايها الاستاذ فانك خير من تُفوَّض اليه الامور

قال — وتعلَّم ايضاً يا روجر ان تنظر الى كل شيء في هذا العالم كالى رواية تشخيصية هزلية وستكون انت وانا من جملة المشخصين بقيادة المشخص الاول اي الملك

قال — ولكني اخشى ان لا يكون ذلك تشخيصاً هزلياً

قال — ان لم تكن الرواية هزلية فستكون مأساة . وحسبنا ان يردّد التاريخ اسم مليكنا المحبوب واسماءنا الى الابد

الفصل الثاني عشر

ولي العهد

كان للملك ثلاثة ابناء وهم البرنس غومفري والبرنس روبرت والبرنس كبريان . وكان الاول ولياً للعهد . وهو فتىً طويل القامة قوي البنية جميل المنظر رائع الطلعة

(ستأتي البقية)